ISSN 2170-0796

السينما .... صناعة وتسويق القيم.

ماينو جيلالي

لم يعد يخفى على احد ما لصناعة السينما من أثر كبير في توجيه العقل البشري نحو قيم ومرتكزات ومفاهيم أريد لها مسبقا أن تشكل محور التفكير الإنساني الموجهة إليه ، ولنأخذ مثالا على ذالك وهو أثر النموذج الأمريكي الذي نجح إلى حد لا متناهي في تكريس المفاهيم والقيم التي أراد صناع القرار الأمريكي ترسيخها في عقول وأذهان الآخر ، وهي صورة الأمريكي المتفوق في كل شيء وعلى جميع الأصعدة والمجالات والذي لا مكان له إلا أن يكون المثل الأعلى الوحيد والأوحد ، وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف سخرت لذلك ترسانة وجيشا من المؤسسات الإعلامية التي تفوق ميزانياتها ميزانية الكثير من الدول وتشكل هوليود كمؤسسة إعلامية سينمائية النموذج الأبرز في هذا المجال.

فقد صنعوا لنا صورة الرئيس الأمريكي الذي يضحي بنفسه من أجل وطنه ، وصورة الرجل الخارق "السوبرمان " الذي يفعل الأعاجيب ، وصورة المحامي الذي لا يصعب عليه حل أي قضية ، وصورة الجندي الأمريكي المغوار الذي يتحدى جيوش العالم لوحده ، وصورة الإطفائي الشجاع الذي يضحي بنفسه لكي يعيش الآخر، وصورة المرأة الحديدية التي لا يجابهها أعتى الرجال ،وصورة الطفل البطل المتفوق والذكي المغامر الذي يفعل الأعاجيب و لا مكان للخوف في قلبه في حين يبقى الطفل العربي متكئا على وسادته يتفرج عليه وتترسخ في ذهنه أنه الطفل الضعيف الذي لا يستطيع مطلقا أن يجابه الطفل الأمريكي ....وهلم جرا والأمثلة كثيرة جدا .

ولا أبالغ حين أقول أنهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك في صناعة الصورة المثالية للنموذج الأمريكي ، فالحيوان الأمريكي كان أيضا طرفا أساسيا في هذه المعادلة ، ويتذكر جميعنا في هذا المقام تلك الأفلام التي يكون بطلها الرئيسي حيوانا من الحيوانات الأمريكية سواء كان كلبا أو دبا أو قردا أظهروا من الشجاعة والإقدام والوفاء ما يضاهيها لدى الإنسان ، وهم بذلك يخاطبون عقولنا الغبية بأن كل شيء فينا هو الأحسن والأفضل والأمثل حتى ولو كان حيوانا .

والملاحظ أن إتباع هذا النهج من طرف صناع القرار السياسي الأمريكي جعلهم يحققون أهدافا عديدة ، فهم من جهة يصنعون النموذج الأمثل للمواطن الأمريكي وهو ما يزيد ثقته بنفسه وافتخاره واعتزازه بالانتماء إلى الأمة العظمى والقوية التي لا تقهر ، ومن جهة أخرى يزرعون الرعب والخوف والشك في عقل الآخر الذي ينبغي –بالمفهوم الأمريكي – أن لا يرى أمامه إلا نموذجه ومثله الأعلى وسيده الذي لا ولن يستطيع الوصول إليه ...أمريكا .

وإذا كان الأمريكيون يروجون لهذه الثقافة والمعتقدات عن طريق الفعل السينمائي فهذا حقهم المشروع مادامو معتقدين بصحة ذلك ، لكن المشكلة والطامة الكبرى أنهم يجدون السند والعون من بعض أذناب العرب الأغبياء والمتآمرين الذين يسوقون ويروجون هذه الثقافة والقيم في بلدانهم ، بتسخير أموال طائلة في اقتناء الأعمال السينمائية أو إنشاء فضائيات تروج للنموذج الأمريكي .

ISSN 2170-0796

والنتيجة الحتمية لكل هذا هي أنه وزيادة على الهيمنة السياسية والعسكرية والاقتصادية للنموذج الأمريكي ، تحققت هيمنة هي أخطر من كل ما سبق ذكره وهي الهيمنة الفكرية التي جعلتنا نضع حواجز وهمية ثقيلة جدا لم نستطع تجاوزها ، وجعلتنا نعيش ظاهرة الإستلاب الفكري والاغتراب الحضاري .

وإذا ما أردنا الحديث عن صناعتنا السينمائية، فهي لم تنجح إلا في تسويق صورة الإنسان العربي اللاهث وراء نزواته ورغباته الجنسية المكبوتة، وأصبح التحلل والإباحية هي السلم الذي يمتطيه السينمائي العربي ليصل إلى الشهرة، ويشكل النموذج السينمائي المصري أبرز مثال جدير بالذكر في هذا المقام .